ويؤدي ايضا الى ضرورة الاسم والمسمى واحدا فان اعترضت عليه بانه قول مقبول على وجه الدهر وانه لا سبيل
الى رده اجابك بان له محلا سوى ما يذهب وانه نظير قول الناس فلان يروي قفا نبك وعفت الديار ويقول
الرجل لصاحبه ما قرأت فيقول الحمد لله وبراءة من الله ورسوله ويوصيكم الله في اولادكم والله نور السموات
والارض وليست هذه الجمل باسامي هذه القصايد وهذه السور والاي وانما تعني رواية القصيدة
التي ذلك استهلالها وتلاوة السورة او الايات التي تلك فاتحتها فلما جرى الكلام على اسلوب من يقصد
التسمية واستفيد منها ما يستفاد من التسمية قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة وللمجيب
عن الاعتراضين على الوجه الاول ان يقول التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستنكرة لعمري عن كلام العرب وخروج
ولكن اذا جعلت اسما واحدا على طريقة حضرموت فاما غير مركبة نثر اسماء العدد فلا استنكار فيها
لانها من باب التسمية بما حقه ان يحكى حكاية كما سموا بتابط شرا وبرق نحره وشاب قرناها وكما لو سمي بزيد منطلق
او ببيت شعر وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة من اسماء
حروف المعجم دلالة قاطعة على صحة ذلك واما تسمية السورة كلها بفاتحتها فليست بتصيير الاسم
والمسمى واحدا لانها تسمية مولف بمفرد والمولف غير المفرد الا ترى انهم جعلوا اسم الحرف مولفا منه ومن حرفين
مضمومين اليه كقولهم صاد فلم يكن من جعل المسمى والاسم شيئا واحدا حيث كان الاسم مولفا والمسمى
مفردا والوجه الثالث ان ترد السور مصدرة بذلك ليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بوجه
من الاغراب وتقدمة من دلائل الاعجاز وذلك ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه
مستوية الاقدام الاميون منهم واهل الكتاب بخلاف النطق باسماء الحروف فانه كان مختصا بمن
خط وقرا وخالط اهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستغربا مستبعدا من الامي التكلم
بها استبعاد الخط والتلاوة كما قال عز وجل وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك اذا لارتاب المبطلون فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار انه لم يكن ممن اقتبس شيئا
من اهله حكم الاقاصيص المذكورة في القرآن التي لم تكن قريش ومن دان بدينها
في شيء من الاحاطة بها في ان ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد بصحة نبوته وبمنزلة
ان يتكلم بالرطانة من غير ان يسمعها من احد واعلم انك اذا تاملت ما اورده الله عز سلطانه
في الفواتح وجدتها نصف اسامي حروف المعجم اربعة عشر سواء وهي الالف واللام والميم والصاد
والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في
تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم اذا نظرت في هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة
على انصاف اجناس الحروف بيان ذلك ان فيها من المهموسة نصفها الصاد
والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين
والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها اللام والميم والراء

والصاد

٨

والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن
المنفتحة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون والقاف
ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء
والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف
والطاء ثم اذا استقريت الكلم وتراكيبها رايت الحروف التي الغى الله ذكرها من هذه الاجناس
المعدودة مكثورة بالمذكورة فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته وقد علمت ان معظم الشيء
وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطايف التنزيل واختصاراته فكان الله عز اسمه عدد على العرب
الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت من التبكيت لهم والزام الحجة اياهم ومما
يدل على انه تعمد بالذكر اكثرها وقوعا في تراكيب الكلم ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما
جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان
والسجدة والاعراف والرعد ويونس وابراهيم وهود ويوسف والحجر فان قلت فهلا عددت
باجمعها في اول القرآن وما بالها جاءت مفرقة على السور قلت لان اعادة التنبيه على ان المتحدى
به مولف منها لا غير وتجديده في غير موضع واحد اوصل الى الغرض واقر له في الاسماع والقلوب من
ان يفرد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس
وتقريره فان قلت فهلا جاءت على وتيرة واحدة ولم اختلف اعداد حروفها فوردت صاد
وقاف ونون على حرف وطه وطس وحم على حرفين والم والر وطسم على ثلاثة احرف والمص والمر
على اربعة احرف وكهيعص وحم عسق على خمسة احرف قلت هذا على عادة افتنانهم في اساليب الكلام
وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب متنوعة وكما ان ابنية كلماتهم على حرف وحرفين الى
الخمسة احرف لم تتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك فان قلت فما وجه اختصاص
كل سورة بالفاتحة التي اختصت بها قلت اذا كان الغرض هو التنبيه والمبادي كلها في تادية
هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمى الرجل بعض اولاده زيدا
والاخر عمرا لم يقل له لم خصصت ولدك هذا بزيد وذاك بعمرو فان الغرض هو التمييز
وهو حاصل اية سلك وكذلك لا يقال لم سمي هذا الجنس بالرجل وذاك بالفرس
ولم قيل للاعتماد الضرب وللانتصاب القيام ولنقيضه القعود فان قلت ما بالهم
عدوا بعض هذه الفواتح اية دون بعض قلت هذا علم توقيفي لا مجال للقياس
فيه كمعرفة السور اما الم فاية حيث وقعت من السور المفتتحة بها وهي ست وكذلك المص اية
والمر لم تعد اية والر ليست باية في سورها الخمس وطسم اية في سورتيها وطه ويس ايتان
وطس ليست باية وحم اية في سورها كلها وحم عسق ايتان وكهيعص اية واحدة وص وق ونون

Copyright © King Saud University